محاضرات فيديو لاهوتيّة
الوحدة: الصلاة الربّانيّة

المحاضرة ٩:
لأنّ لك المُلكَ والقوّة والمجد

مُقدّم المحاضرة: الدكتور جيرالد بروسي

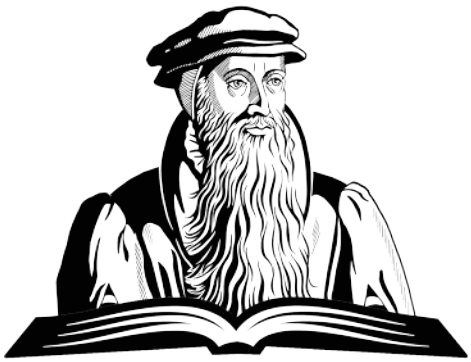

إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

كليّة جون نوكس للتعليم العالي
إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

© ٢٠١٩ من خلال كليّة جون نوكس للتعليم العالي

كلّ الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذه المحاضرات بأيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة لتحقيق الربح، باستثناء استخدام اقتباسات مُختصرة لأغراض المراجعة أو التعليق أو المنح الدراسيّة، من دون الحصول على إذن خطّي من الناشر: كليّة جون نوكس، ص. ب. ١٩٣٩٨، كالامازو، ميشيغان ٤٩٠١٩-١٩٣٩٨، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جميع اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستاني - فانديك، ما لم تتمّ الإشارة إلى خلاف ذلك.

الرجاء زيارة موقعنا: www.johnknoxinstitute.org

كان القسّ. جيرالد بروزاي (١٩٥٣-٢٠٢٤) خادمًا أمينًا للإنجيل في كنيسة Opperdoes وHamilton وMiddelharnis وDundas.

وحدة

الصلاة الربّانيّة

الدكتور جيرالد ر. بروسي

يُقدّمها من خلال ١٤ محاضرة بعنوان:

جمال الصلاة

١. المقدّمة: الأساس الكتابيّ ومُخطّط المادة

٢. أبانا الذي في السماوات

٣. ليتقدّس اسمك

٤. ليأتِ ملكوتك

٥. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض

٦. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم

٧. واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر للمذنبين إلينا

٨. ولا تدخلنا في تجربة بل نجّنا من الشرّير

٩. لأنّ لك المُلك والقوّة والمجد

١٠. آمين

١١. مسائل عمليّة بخصوص الصلاة

١٢. حياة الصلاة عند الرعاة

١٣. صعوبات في الصلاة

١٤. بركات الصلاة

المحاضرة٩

لأنّ لك المُلْكَ والقوّة والمجد

أهلًا بكم إلى المحاضرة التاسعة من سلسلة جمال الصلاة.

سوف نتناول اليوم خاتمة الصلاة الربّانيّة. يعلّمنا الرّب يسوع أنْ نُصلّي قائلين: "لأنّ لك المُلْكَ والقوّةَ والمجدَ."

في الواقع، هذا ليس توسّلًا، ولا طِلْبَة. إنّه اعتراف. إنّه استنتاج. نقرأه في متى ٦: ١٣: "لأنّ لك المُلْكَ والقوّةَ والمجدَ، إلى الأبد." هكذا يعلّمنا الرّب يسوع أنْ نختمَ صلواتِنا. إنّها خاتمة العبادة والتمجيد. لا بدّ من تمجيد الرّب. ينبغي أنْ ينالَ كلَّ المجدِ والتسبيح والعبادة. هذا هو هدفُ حياتِنا، وهدفُ وجودِنا. وينبغي أنْ يكونَ هذا هدفَ صلاتِنا: كيف يجب أنْ نختمَ صلاتَنا. لمجد الله.

إذًا، يُعلّم الرّبُ يسوع تلاميذَه أنْ ينحنوا إلى التراب أمام جلال الله وقوّتِه ومجده. لا شيء منّا. كلُّ شيء فيه. لا نتلقّى المجدَ، بل هو ينالُ المجدَ، وتلك هي شهوةُ قلوب جميع الذين تعلّموا محبّة الله. يريدون أن يرَوه مُمجَّدًا في حياتِهم.

هذه هي الخاتمة العظيمة والمنظور الكبير للصلاة.

بعمله هذا، يعطي الرّب يسوع شعبَه أجنحةً ليحلّقوا نحو الله ويعاينون عظمتَه ويقين قوّته وجبروته وجلاله.

يا لها من تعزية، ويا لها من رؤية غنيّة مجيدة بأنّهم يستطيعون الآن أن يُنهوا صلاتهم بالتوجّه إلى الله.

صلّوا من أجل غفران جميع ذنوبهم. وطرحوا حاجاتِهم اليوميّة أمام الرّب. وتوسّلوا إلى الرّب كي ينجّيهم من كلّ شرّ.

والآن، بعد كلّ هذا، يمكنهم إشاحة أنظارهم عن أنفسهم، وعن حاجاتهم، لكي يقدروا أن ينظروا إلى مَن هو الله.

يمكنهم أن يحدّقوا في مجد الله وجماله، ولا بدّ أن يكون ذلك ذروةَ صلاتِهم وختامها.

يقدرون الآن أنْ يُعجَبوا بعظَمته. يمكنهم أنْ يتعجّبوا من قوّته، ويندهشوا لملكوته المجيد وعزّته.

في بداية هذه الصلاة، تَعلَّمْنا أنْ نستهلّها بمخاطبة الله الذي هو في السماء: " أبانا الذي في السماوات." وتلك هي حقيقة الله المجيدة. إنّه في السماء على عرشٍ من القوّة والجلال.

والآن، في نهاية هذه الصلاة، يعودُ الربّ يسوع إلى نقطة البداية ويختتم بمَن هو الله. مُجدّدًا، يمكننا أنْ نرى اللهَ المجيدَ الذي هو في السماء.

يمكنكَ أنْ تبدأَ صلاتَك وتختِمَها بقوّته وعظمته وجلاله، وهكذا تُدركُ بأنّ ملكوتَه سوف يأتي. إنّه أمرٌ حتميّ بدون شكّ، لأنّ الصلاة تقول بكلّ بساطة: "لأنّ لكَ المُلك والقوّة." القوّة لتُجدّدَ الخطاة، وتعلّمَهم أنْ يصنعوا مشيئتك، وهذا يؤدّي إلى أنْ يأتيَ ملكوتَه ويتقدّس اسمَه المجيد وينالَ المجد.

إنّ هذا الجزء الأخير من الصلاة الربّانيّة مجيد جدًّا. فهو يؤكّد ويُطمئن أنّ كلّ هذا، أي كلّ ما صلّينا من أجله، سوف يحدث. إنّه حقيقة، وليس سؤالًا، وليس موضعَ نقاش. إنّه حقيقة بكلّ بساطة: "لأنّ لكَ المُلْكَ."

إنّ الله مَلِكٌ إلى الأبد، وقد أعطى الله حُكْمَ ملكوتِه لابنه. والآن، الرّب يسوع هو ملك إلى الأبد، وسيكون ملكوتُه الملكوتَ الوحيد. سوف تسقط كلّ الممالك والإمبراطوريّات الأخرى، أمّا هو فسيحكم على كلّ شيء، إلى أبد الآبدين. يجب أنْ تخضعَ له كلّ الشعوب. إنّ الربَّ مُتحكّم بكلّ شيء.

يمكننا أنْ نستريحَ فيه وفي أمانته وقوّته ومجده. نستطيع أنْ نقولَ له: "يا ربّ، أنت صخرتي، أنت مَلجئي. أنا مستريح لدى الله الكلّي القدرة الذي سوف يُمجَّدُ اسمه، ويسمَحُ لملكوته بأن يأتي، ويقودُ حياتي بطريقة تجعل كلّ الأشياء تعمل معًا لخيري ولمجده."

لأنّ ملكوت الله سيأتي، وكلّ ركبة ستنحني أمامه، وكلّ لسان سيعترف بأنّه ربّ الأرباب، كثيرون في ذلك اليوم سيفعلون هذا لأنّهم مُجبرون على الخضوع. قبل أن يُحكَم عليهم بالابتعاد عن الله إلى الأبد، سوف يعترفون أوّلًا بأنّه

الله إلى الأبد. هذه هي الحقيقة المجيدة. ما يعلّمنا إيّاه الرّب يسوع هو أنّ هذه الصلاة تنتهي برؤيةٍ لملكوت الله المجيد.

سيكون ملكوتُ الله مكوّنًا في النهاية من سماءٍ جديدة وأرض جديدة، حيث تتّحد السماء والأرض. سيكون ذلك ملكوتًا يدوم إلى الأبد. سيكون ملكوتًا بدون فساد، وخوف، ومن دون أعداء. ملكوت من السلام التامّ. إنّه ملكوت لن يُدمّر أو يُغلَب. سوف يحطِّمُ ملكوتَ الله كلَّ الممالك الأخرى ويكسِرَها، وسيثبتُ ملكوت الله إلى الأبد.

حتّى لو تعرّض شعبه على الأرض للقتل، سيحكمون معه في المجد. وحتّى لو عاشوا حياةً مديدة، سوف يحكمون معه في المجد. تلك هي الخاتمة النهائيّة وهدف كلّ الذين يُحبّون الربّ.

هذا الملكوت هو ملكوت المسيح. هذا الملِكُ له القوّةَ أيضًا، لأنّه ليس مكتوب فقط: "لك المُلْكَ،" بل: "لك القوّة أيضًا." في الواقع، كلُّ قوّةٍ في الوجود تنبثقُ أساسًا من الله. حتّى قوّة إبليس، والقوّة التي يملكها الناس ليرتكبوا الشرّور، يأخذونها أيضًا من الله. لكنّهم يُسيئون استخدامَ قوّتهم، وسوف يُعاقَبون. لكن، لكي يقدرَ الإنسانُ أنْ يصنعَ الشرور، يحتاجُ إلى قوّةٍ من الله.

لقد أظهرَ المسيحُ قوّةَ الله عندما سحق رأسَ إبليس. حدث ذلك على الصليب حين غلب سلطان الظلمة. وهو الآن يَعرض قوّتَه بتحرير الناس المقيّدين من إبليس في العبوديّة. إنّه يَفديهم، وهكذا، يحرّر الأسرى، ويعمل على مجيء ملكوته. القوّة كمالٌ أساسيّ عند الله.

لا يملك الله القوّة لسَنّ القوانين فحسب، بل لفرض الطاعة لقوانينه أيضًا. إنّه يُشرّع الوصايا، لكنّه يفرض الطاعة أيضًا. ويفعل ذلك بواسطة قوّته.

لم يشأ الخطاة أنْ يُصغوا إلى الله أبدًا. لكنّ قوّة المسيح غلبتهم، وتلك القوّة تجذب الآن الذين يُحاربون الله ويقاومونه. لكنّه يتغلّب على عدم رغبتهم، ويجعلهم راغبين جدًّا في يوم قوّته، المزمور ١١٠.

إنّه يجذبهم برباط المحبّة. وسوف ينالُ المسيحُ قوّة الله حين يُجدّدُ الخطاة. تنكسر سلاسل إبليس، ويتأسّسُ ملكوتُ الله في نفوس الناس. قوّتُه تَحفظُ الناسَ وتحميهم من السقوط، وتأتي بهم إلى هذا الملكوت السماويّ. لذلك، حين نصلّي إلى الله، يجب أنْ نُدركَ أنّه يملِكُ كلّ قوّة، وأنّ قوّةَ الله متوفّرة لك.

إنّ القوّة الأبديّة موجودة لأجلك. قوّة الله هذه هي إلى جانبك، حين تُربح إلى ملكوته. ويستطيع أنْ يدافعَ عنّك ضدّ كلّ عدوّ، وينقذَك من كلّ صعوبة. يستطيع حتّى أنْ يرسل ملائكتَه لإنقاذك. كما يستطيعُ إخضاعَ أيَّ خطيّة في داخلك. لا شيء صعبٌ عليه. إنّه قادر على إنقاذ أعظم الخطاة، لأنّه الله القدير الكليّ القوّة، والأبديّ. إنّه مستعدّ أن يُخلّص. هو قويّ ومُستعدّ: قويّ ليخلِّص، ومستعدٌّ أنْ يُخلِّص. هكذا يعلن عن نفسه: كإله مُحبٍّ ورحيم.

إنّه قادر ومستعدّ أنْ يوفّر لك كلّ رعاية. وهكذا، حين تصلّي، فكّر بقدرته الجبّارة. من خلال قُدرته الجبّارة هذه، يُخلّصُ الخطاةَ الضالّين. لقد سبق وأظهر قوّته بطرق رائعة.

كيف يمكن أنْ يصيرَ الله إنسانًا؟ هذا ممكن من خلال ابنه. لقد أرسل الله ابنَه إلى هذا العالم، وجعل ابنَه يولد من عذراء. وأنْ يولدَ ويكبُرَ ويعيشَ بيننا. لقد وضع حياتَه فِدْيةً للخطيّة، وبقوّته الجبّارة غلبَ الموت. وقام من بين الأموات.

وبهذه القدرة الجبّارة عينِها، غلبَ الجحيم. لقد هزم قوّة الشرّير. إنّه يمحو ذنوبَ شعبه، وبالقوّة الجبّارة عينها، يرسل روحَه ليُحقّقَ عمل المسيح في نفوس البشر. إنّه يغيّر حياةَ الناس. هو يجدّدهم، وهذا ممكن فقط بسبب قوّته الجبّارة. لا شيء يستطيع تغيير قلب الخاطئ. قوّة الله فقط تستطيع ذلك.

إنّ القوّةَ عينَها التي خلقت السماوات والأرض، والقوّةَ عينَها التي تُقيم ميّتًا من القبر، هي القوّة عينُها اللازمة لتجديد قلب الخاطئ. لذلك، من خلال تلك القوّة الجبّارة عينها، يُخلّص روحُ الله الناسَ من خطاياهم. ينقلهم من الظلمة إلى نوره العجيب. تلك هي قوّتُه الجبّارة. لقد أظهرَ الربُّ خلاصَه.

حين تصلّي، فكّر بقوّته. فكّر بقوّته الجبّارة التي بها مستعدّ أنْ يُخلّصَ الخطاة الضالّين. فلْنثِقْ بقوّتة الجبّارة. إنّه قادر أنْ يُخلّصَ الخطاة من الأسر. يُمكن لأعظم الخطاة أنْ يتجدّدوا. فلْنثِقْ بقوّته. لقد سبق وأظهر الكثير من قوّته في هذا العالم. وربّما اختبرتَ قوّتَه في حياتِك الشخصيّة.

حين تُدركُ قوّتَه العظيمة التي خلّصَتْكَ، وكيف تغلّب على صعابٍ في حياتك، ستنظرُ مُجدّدًا إلى الأمور المستحيلة وتضعها أمام الرّب، ولن تعرفَ كيف يمكن أنْ تجدَ لها حلًّا في حياتِك. أنت لا تعرف كيف يمكن أنْ تستمرّ، لكن تذكّر، هو قادرٌ أنْ يُخلّصَ إلى أقصى الدرجات لأنّه القدير.

تذكّر أعمالَه التي صنعها كما وردت في الكتاب المقدّس. تذكّر أعمالَه التي صنعها في حياتك. تشجّعْ، والتمِسْ قوّتَه الجبّارة. سوف يمنحك هذا الرجاءَ والتعزية، حتى لو كنت تشعر بأنّك لا تزال خارج نعمة الله المخلِّصة.

قد ترى أنّك بحاجة إلى عَمَلِ خلاصه في حياتك، وأدركتَ أنّك غير قادر أنْ تُخلّصَ نفسَك، ولا أنْ تُجدّدَ نفسك. لكن ما لا تقدر أنْ تفعلَه، يقدر هو أنْ يفعله. إنّه الله الجبّار. لذلك القِ بحملِك عليه، وليكن لك رجاءٌ بقوّته العظيمة. فلتُدرك أنَّ الرّب يسوع قادر ومستعدٌّ أنْ يُحقّقَ عملَ الخلاصِ في حياتِك: "ما لا أقدر أنْ أفعلَه، تقدرُ أنْ تفعلَه أنتَ، لأنّك الرّب القدير."

أولاد لله لا يملكون قوّةً في ذاتهم. إنّما يمكنك أنْ تأتي إليه مثل حمامة وديعة ضعيفة. يمكنك أن تأوي تحت جناحيّ قوّة المسيح. يا له من تباين صارخ: قوّتُه العظيمة وضعفُنا المطلَق. في الحياة الروحيّة، نُصبح مُلمّين بقوّة الله وبضعفنا الشخصيّ. نتعلّم أنْ ننكرَ ذواتَنا ونثقَ به.

وكلّما رأيتَ ضَعفَكَ أكثر، سوف تثق أكثرَ بالله وحدَه. سوف تغامر وتلجأ إلى قوّته. حين يرى الرُبّان أنّ سفينتَه هشّة ويتسرّب الماء إليها، سيبحث عن نَجّار ليصلِحَها. حين تدركُ أنّك ضعيف، سوف تهرب إلى الله لتنال القوّة كي تساعدك في وقت الضيق.

غالبًا ما يثقُ المؤمنُ المسيحيُّ بقوّته الذاتيّة، مُعتقدًا أنّه قادر على معالجة المشكلة، ويُهمل أنْ يلتمسَ قوّةَ الله ونعمته. ترى ذلك في حياة داود وبطرس وآخرين.

إيّاك أنْ تثقَ بقوّتك الشخصيّة، بل القِ بنفسِك على قوّة الله. فهذا أمر يمجّدُ الله: "لأنّ لكَ المُلْكَ والقوّة والمجد." حين نرى ملكوتَ الله المجيد ونعاينُ قوّتَه، سيؤدّي كلُّ هذا إلى تمجيدِ الله، لأنّ الله ينبغي أنْ ينال مجدًا أبديًّا. ويوجد أسباب كثيرة لذلك.

أوليس أمرًا مجيدًا أن ترى شمعةً لا تزال مشتعلة وسط الرياح الهوجاء، أو أنْ ترى تلك الشمعةَ عينِها مُشتعلة وسطَ الأمواج العاتية؟ لم تنطفئ تلك الشمعة. وكذلك، عندما نرى شخصًا يتعرّضُ للهجمات من كلّ ناحية وصوب، لكنّه مسنود ومحمول بثبات بين ذراعيّ الله إلى أنْ ينهزم كلّ عدوّ في النهاية. إنّه لأمرٌ مجيد. ضعفُنا يقودنا إلى الله، وبسبب قوّته، قصَبَةً مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يُطفئ.

يا لها من برَكة، أنْ تستندَ على الرّب، وأنْ تقدرَ أنْ تفعلَ كلَّ شيء في المسيح الذي يقوّيك. وبهذه الطريقة يُمجَّد الله. ترى الخلاص في كلّ حياتك، وذلك ليس بسببكَ، بل كلّ هذا بفضل عنايتِه بك ونعمته وقوّته. لذلك، يجب أنْ يُنسَب المجدُ إلى الرّب فقط. وكما قلنا سابقًا، هذا هو هدف كلّ معاملات الله. إنّه مجدُ الله ذاتُه. لقد صنعَ كلَّ الأشياء لمجده. هذا يعني أنَّ كلَّ الأشياء خُلقت به، وله، ولا بدّ أنْ تساهمَ كلُّها في تمجيده الأسمى واللامتناهي.

لذلك، كان الرّب يسوع يسعى دائمًا لمجد الله. كان يتوق أنْ يتمجّد الله في حياته هنا على الأرض، وينبغي أنْ يكونَ ذلك هدفَ شعبه.

قال: "أيّها الآب، أنا مجّدتك على الأرض" لأنّ الله يعمل كلّ شيء لمجد وإكرام اسمه. يخلّص لمجد اسمه. يُظهر رحمة للخطاة لكي يُكرَمَ اسمَه ويُعبَد. وذلك هو هدف الصلاة في النهاية: مجدُ الله وإكرامه، لأنّ الله يعمل كلّ شيء لمجده. لقد خلق السماءَ والأرضَ لمجده. المزمور ١٩: ١: "السماوات تُحدّث بمجد الله."

والرّب يصنعُ الخلاصَ لمجدِ اسمه. أفسس ١: ٥ – ٦: "إذ سبق فعيّينا للتبنّي بيسوع المسيح نفسه، حسَب مسرّة مشيئته، لمَدح مجد نعمته." فكّر بهذا النصّ الرائع في المزمور ٥٠: ١٥: "وادعني في يوم الضيق، أنقِذُك فتمجّدُني."

الله يُنقذُ ويخلّص، لكي تقول إنّ الله صالح. له كلّ الثناء والعبادة.

لذا يُعينُ الرّبُ شعبَه، ويقوّي خدّامَه فيما ينقلون كلمَتَه. ويفعل كلَّ ذلك لمجد اسمه. إذًا، هو يُنقذ ويخلّصُ شعبَه من كلّ ضيقاتهم، لمجد اسمه.

لذلك حين تصلّي، ضع هذه الفكرة في خلفيّة صلاتك، أنّ كلَّ شيء في النهاية ينبغي أنْ يسعى نحو هذا الهدف، أنْ يتمجّدَ اللهُ. فلتكن أيضًا صلاتُك الشخصيّة: "يا ربّ، مَجّدْ اسمَك في حياتي."

وهكذا، لا يهمّ كثيرًا ماذا يحدث لك في النهاية طالما أنَّ اللهَ يتمجّد. حتى في أيّام المرض، وفي المشقّات، صلّ أنْ يكونَ ما تمرُّ به لمجدِ اسمِه العظيم. أطلبْ نعمةَ اللهِ لكي تُحفَظ من الخطيّة. أطلبْ النعمةَ لكي تكون مُطيعًا لله، ولكي يكونَ كلُّ ذلك لمجده، لأنّه مستحقّ كلَّ المجد والثناء والعبادة.

يتمجّد الله بتقديم الشكر له، ويتمجّد حين نعترف بأنّه يستجيب الصلاة. علينا تقديم الشكر لله على بركاته الكثيرة، وهذا يمجّد الله. لهذا السبب، على المسيحيّ ألّا يكتفي فقط بالصلاة والطلبات أمام الله، بل عليه أنْ يتذكّر أيضًا تقديم الشكر لله.

يُعطينا الله كلَّ يوم علامات كثيرة على رحمته ونعمته، وهي تمنحنا أسبابًا لا تُحصى لنقدّمَ الشكر له. وكلّها ستكون لمجد اسمه. فكّر كيف يوفّر لكَ اللهُ طعامَك اليوميّ. فكّر كيف يجعل الشمس تُشرق، والمطر يهطل. فكّر كيف أعطاك كلمتَه، وكيف تحدّثَتْ كلمتُه إلى قلبك. فكّر بالدعوات إلى الحياة الأبديّة، وكيف يُظهر لك نعمته الغافرة. حتّى حين تختبر الصعوبات، وعندما تعود بذاكرتك كولد من أولاد لله، فكّر: مَن الذي أبقى رأسك مرفوعًا؟ مَن أعانك؟ من رفعك؟ مَن أعطاك النعمة؟ إنّ الرّب هو الذي فعل كلَّ ذلك. غالبًا ما يُعلّم الربّ شعبَه في درب المشقّات دروسًا روحيّة غنيّة، وعندها، يمكن أن تكون المِحَنُ بركاتٍ متخفّيةً لأنّها تكشف لك أكثر مَن هو الله، وهكذا يُمجِّدُ الله نفسَه. نحن مدعوّون إذًا أنْ نقدّمَ الشكرَ لله. وهذا أمر يمجّده، لكنّه غالبًا ما يُهمَل.

ينالُ الناس البركات، يشعرون بالسعادة والفرح، لكنّ ذلك لا يماثل الشعورَ بالامتنان والشكر. ولا يماثل تقديم المجد لله. نجد ذلك مثلًا في الرجال البرص العشرة الذين أتوا إلى الرّب يسوع. لقد شفاهم الرّب كلّهم، لوقا ١٧: ١٧: " أليس العشرة قد طهروا؟ فأين التسعة؟ ألم يوجد مَن يرجع ليعطي مجدًا لله غير هذا الغريب الجنس؟" وقد كان سامريًّا.

يقول لنا الرسول بولس في رسالة فيليبّي ٤: ٦: "لا تهتمّوا بشيء، بل في كلّ شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتُعلَم طلباتكم لدى الله." يُرينا الكتاب المقدس إذًا ضرورة الشكر. ما سبب ذلك؟

لأنّه بهذا ينال الله مجدًا. نُقرُّ بصلاحِه نحونا. نحن غير قادرين من أنفسِنا أنْ نُضيفَ أيّ شيء إلى مجده، لكنّه الآن يُسَرّ بأن يتلقّى ثناءَنا البسيط، ويُسَرُّ بأنْ يَقْبَلَ شكرَنا، وبالتالي سيتمجّد. إنّ الشكرَ الصادق ينبعُ من قلب يعرف بكلّ تواضع عدم استحقاقه.

ولكي تعطي الشكر، ينبغي أنْ تدركَ أنّك غير مُستحقّ لأيّ شيء تنالَه. إنّ قلبًا كهذا يقدّر الهدايا ويقدّر محبّة المُعطي لهذه الهدايا، فقُلْ مع يعقوب: "صغيرٌ أنا عن جميع ألطافك" . لكي نعطي المجدَ لله، من المهمّ أنْ نكونَ دقيقين، وأنْ نَذْكُرَ البركات التي أعطانا إيّاها الله. قد يكون هناك بركات يوميّة كثيرة يُظهرُ اللهُ من خلالها عنايتَه بحياتنا اليوميّة. ربّما اختبرنا صعوباتٍ معيّنة، والرّب نجّانا بالكامل. لا تنسَ كم مرّة أنقذك، بل ضع ذلك أمام الرّب بالشُكر.

لقد أعطانا الرّب امتيازات عديدة فوق شعوب أخرى كثيرة. فلنشكر الله عليها. إنّه يعتني بالطبيعة ويحافظ على السماء والأرض. إذ نرى الشمس والقمر والنجوم، لا بدّ أنْ نعبدَ الله على كلّ أعمال يديه.

كما يعطي الرّب الفصول المختلفة، ويعطي العشبَ الذي ينمو فوق الجبال. الرّب يعطي الطعام للحيوانات. ويعتني كذلك بالمحاصيل، كما نقرأ في المزمور ٦٥: ٩ – ١١: "تعهّدت الأرض وجعلتها تفيض. تُغنيها جدًّا. سواقي الله ملآنة ماء. تُهيّئ طعامهم لأنّك هكذا تُعدّها. أروِ أتلامها، مهّد أخاديدها. بالغيوث تحلّلها. تبارك غلّتها. كلّلت السنة بجودكَ، وآثارك تقطر دسمًا." إذًا، يتمجّد الله بسبب كلّ عنايته بالطبيعة.

حين نقدّم شكرنا للرّب، يجب أنْ نفعلَ ذلك متذكّرين أنّه صنعنا، وقد صنعنا لنكون مخلوقات عاقلة، ونحن قادرون أنْ نعرفَ الله وأنْ نحبَّه ونتمتّع به. تلك القدرة هي سبب كاف لتقديم الشكر والثناء لله. يجب أنْ نباركَه لأنّنا لسنا كالحيوانات التي ستهلك، بل قد تلقّينا امتيازًا بأنْ نعرفَ الله ونحبَّه ونتمتَّع به.

قدّم إذًا الشكرَ للرّب، لأنّه يحافظ علينا ويحمينا، ولأنّه يعطينا العقل والفهم، ويعطينا أجسادًا تعمل كما يجب، ولأنّه اعتنى بنا مُذ ولادتنا. يقول إشعياء: "حَمَلَنا الرّبُ كلَّ الأيّام القديمة. الرّبُ حافظَ علينا."

لقد اعتنى بنا في كلّ طرقنا، وذلك بالرغم من خطايانا وضعفاتِنا. نحن لم نقدّم له الإكرام الذي يستحقُّه. فلنقدّم الشكر لله لأجل كلّ عنايته، لأجل الصحّة التي استعادها لنا بعد المرض. ثمّة خطوة واحدة فعليًّا بيننا وبين الموت، لكنّ الرّب حافظ علينا طوال حياتنا.

ربّما لا نزال في أرض الأحياء. لقد نجّى الرّب نفوسَنا من الموت، وعيونَنا من الدمع، وأرجلَنا من السقوط. لذلك، ينبغي أنْ نقدّمَ الشكرَ الملائمَ للرّب على جميع هذه البركات.

إنّه مثلَ راع يعتني بقطيعه، ويعطينا الطعام والغذاء كلّ يوم. ربّما باركَنا الرّبُ في عملنا اليوميّ وأشغالنا. وربّما أعطانا القوّة والبصيرة في أشغالنا، لكي تتباركَ أعمالُ أيدينا. يعطينا الربُّ منازل نعيشُ فيها، ويحفَظُنا من الخطر.

ربّما باركنا حين أعطانا أولادًا، وهكذا، إذا أمعنتَ التفكير ببركات الرّب لك، سوف تدرك سريعًا أنّنا عاجزون عن إحصائها. تُصبح غزيرة جدًّا، ثمّ نراها أمامنا مثل كومة هائلة. إنّها في الواقع جبلٌ كبير من علامات صلاح الله المعطاة لنا.

وعندما نُدرك حقيقة ذواتنا، سنرى جبلًا آخر. إنّه جبل خطايانا وعيوبنا، وقد أهملْنا غالبًا ما كان ينبغي أنْ نفعلَه. إنّنا لم نصنع مشيئةَ الله، بل قصّرنا. إنّها إذًا لمعجزة، أنّه بالرغم من هذا الجبل الهائل من خطايانا وذنوبنا، لا زلنا نرى ذاك الجبل المكوّن من بركات الله وصلاحه نحونا. وبين هذين الجبلَيْن، نرى وادي نعمةِ الله في الرّب يسوع المسيح.

لقد استُحِقّت كلُّ هذه البركات بفضل المسيح، بالرغم من خطايانا. لذلك، نرفعُ كلَّ المجدِ والثناء والعبادة لله. يا لها من فكرة معزّية جدًّا، فكرةٍ لا نقدرُ أنْ نفهمَها بالكامل، لكنّها ستكون مجيدةً جدًّا في السماء، لأنّه هناك سوف ينال الله كلّ المجد، بدون أيّ أثَر للخطيّة، وسوف يستمرّ ذلك إلى أبد الآبدين.

إنّها فكرة مباركة جدًّا: أنَّ تاريخَ هذا العالم سينتهي عندها، وسوف يتلقّى الله المجدَ على كلّ أعماله. سيكون ذلك فرحٌ لكلّ الذين يحبّونه، لأنّهم سيقضون الأبديّة وهم يعظّمون الله ويمجّدونه على كلّ غنى نعمته.

لذلك، فإنّ كلَّ الشكر والعبادة اللذين ترفعهما الآن في هذه الحياة سوف يكتملان يومًا ما: عبادة كاملة، عبادة حقيقيّة نقيّة بلا عيب. عندها سوف تصرخ كنيسةُ الله كلِّها عابدة: "لأنّ لك المُلك والقوّة والمجد إلى الأبد."

شكرًا لكم.